ديني نوى فما دلنا هكذا في ابتدا الطلب حتى افنيت شطر عمري في
تفتيش كتبهم غير مصادف لنقل المعتزلة فعادتها كل المعاودة سيما
كتب الرازي والغزالي ومنحني الله سبحانه وله المنة الوقوف والتوفيق
لتقابس كتب الفن من مطول ومختصر ما لا اعدهم ولا احصى دع عنك
كتب المعتزلة ولو عددت ما اشير اليه في هذه الابحاث القليلة
لحصلت على رهاجية كتاب مع قلة النقل انما هي اشارات لمن يريد
معرفة الاصل في كلما ذكرنا ولعمري ما زلت متعنيا بالانصاف
والقصد الصالح محسنا الظن بكل المسلمين حذرا مشفقا قلقا في المزالق
ملتجيا الى ربي وله المنة كالغريق غير السابح عائذا باللوم على نفسي
قاضيا على نظري بالقصور وعدم الوصول الى حقيقة مرادهم لا الدقة
في المقام فان العلم الضروري حاصل ماض بلا اختيار لا يزيله الا
المكابرة لكني نظرت الى ما ذكرت فاستيقنت بعد ما شرح الله
صدري بان الحامل من حيث الحقيقة وان كان لا يقر به احد انما ذلك
هو الدا القديم وما طبقت عليه عوالم الفرق من مراعات الاسلاف
وايثارهم على الكتاب والسنة واطراح الفطرة حتى بنا ولون صرا يحج
المعقول والمنقول ويردونها الى قول اسلافهم ولست اقول انهم
يقدمون على ذلك مجاهرة لكنه ينشا احدهم في طلب العلم وهو حسن
الظن لمن يتخرج له فلا يزال يسمع ما يقوي حسن ظنه ويسمع ما يتعدى
المخالف ثم يتدرج الى مثل هذه الحال مع حوامل خفية ربما يذهل
عنها واذا حققت هذا العذر لم تعطل عند عاقل حتى عبدت
الاوثان فانا لا انقدر في اي عاقل انه يقدم على الشنيع ببديهته بدون
وسيسه لاكنها مضاعة لا تنفق عند علام الغيوب لوضوح حجته سبحانه
ولعلك تقول لقد تجاسرت على افاضل خيرات وهونت ما عظمه نبي الرحمة
صلى الله عليه وسلم فان العلما ورثة الانبيا ومن انت ايها المسكين
فاقول انا من انا فاحت عبيد الملك الكبير الذي لا تحصر عطاه عن احد
ولا قصر من عذر ولقد احمد الله على اني لم ار ولم اسمع في المتاخرين من شاركا
في الاكتفا بالانتساب الى الاسلام جملة واطراح التزام مذهب معين

وهذه منحة

٧٨

وهذه منحة قل من حضي بها المرء على انما كان ذلك
في السلف الصالح حتى استحكمت الغرق واعيت كل طبيب الى ان
صار جماعة يصرحون باولوية التزام مذهب معين وربما يصرح بعضهم
بوجوب ذلك ويسمون تركه تخبطا حتى رايت لبعض المفتين من
اهل مكة في العصر القريب منا وقد سئل عن رجل انتقل من مذهب الى مذهب
فقال المنتقل بحجة وبرهان يجب تعزيره كيف المنتقل بلا حجة وبرهان
هكذا ذكره انتهى كلامه فانظر الى اين اندرج الباطل وكل زمان
يرحم على قبله نسال الله العافية واما ان العلما ورثة الانبيا هم
الذين حفظوا ما جاء به الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه وليس الثم عليهم
اما المقتصرون على ذلك مطلقا وهم الذين رسا لغبار نعالهم شرفا ولا تخفى
من هم ان كنت موفقا واما الخالطون فمن تلك الحيثية واما الذين جعلوا
الدين كله في هذه المباحث لا من حيث صدق بعضها على ما نطق به الكتاب
والسنة كالنظر في الملكوت ولكن الباب الذي دخلوه والاصل الذي
اصلوه حتى عظموا حقيرها وكبروا صغيرها وجعلوا ما كان لا يرى
السلف الصالح قطع الوقت فيه بخلاف الاغبيا وربما يكون في نظرهم
اكثره او كثير منه حراما فجعلوه هولا العلق النفيس واستحقروا ما تجنبه
السلف الصالح وراوا انهم ادركوا الحق كله في الاعصار المتاخرة فهولا انما هم
ورثة الفلاسفة لا ورثة الانبيا فان قلت منهم فلان وفلان
وفلان ايمة اصول الفقه والعربية الذين هما علم الكتاب والسنة
المتبحرون في استنباط الاحكام وانواع الفنون المتشعبة عن نهر
الاسلام قلت هم من هذه الحيثية ورثة الانبيا ونحن
من ورثة الفلاسفة فلهم من كل اناء ترشح بما فيه وليس من ذم من جهة
ذم من كل جهة وانما مثال ذلك كرجل يسلك طريقا جددا او محجة بيضا
فهذا يبلغ المقصد غير ضال بلا ريبة وتارة ياخذ في بنيات الطريق
اما غلطا في اول قدم واما طلبا للتنزه في غرايب البادية فهو ان جعل
الجادة اصله واعتمد اعماله فارب وسدد وان راى الصواب امامه وضلال
سالكي المحجة واشفق عليهم ان لا يبلغوا المقصد فهذا ينبيه ابدا الى ان يهلك

Copyright © King Saud University